



ليس من حدث أثر و يؤثر على الدول المحيطة بسوريا، كالحدث السوري، إن بسبب موقع هذا البلد الحيوي وتشابكه مع معظم الملفات الشائكة والحساسة في المنطقة، وإن لتنامي نفوذه خلال أكثر من 4 عقود وتأثيره على جيرانه وعلى طابع العلاقة معهم، وإن بسبب الأعداد المتزايدة من النازحين والمهجرين الذين بدأوا يشكلون عبئاً على تلك الدول وعلى أوضاعها الاقتصادية.

لكن السبب الأهم هو خشية هذه البلدان من امتداد الصراع السوري، وتداعياته بفعل مكونات عرقية ودينية وطائفية متداخلة، وتحسبهم من محاولة النظام تصدير أزمته إليهم عساه يخفف عبر توسيع رقعة الصراع من الضغوط عليه، وتحويل الانتباـه العالمي والعربي إلى أماكن أخرى.

مع أن السلطة العراقية بدأت تئن من وطأة الحـدث السوري عبر حراك شعبي معارض ما فتـئ يتسع في مناطق وجود الكتلة السنـية وينذر بما هو أسوأ، لا يزال موقفها الرسمي حافلا بالتناقض، فإلى جانب تكرار رفض التدخلات الخارجية في الشأن السوري والدعوة لحل سلمي عبر الحوار، سمعنا عبارات واضحة من رئيس الحكومة نوري المالكي تدعم النظام وتنـقـد قدرته على الاستمرار وتراهن على فشـل الثورة، بينما تفاوتت مواقـفـ المـعارـضـةـ، بين داعـمـ صـرـيحـ للـثـورـةـ تمـثـلـهـ بعضـ القـوىـ المنـضـوـيـةـ فيـ اـئتـلـافـ العـرـاقـيـ، وـمـخـتـبـيـ خـلـفـ المـوقـفـ الدـولـيـ كـحالـ أـهـمـ الكـتلـ السـيـاسـيـةـ الـكـرـديـةـ.

وإذا تجاوزنا النصائح المتكررة للعاـهلـ الأـرـدـنـيـ الملك عبد الله الثاني عن أهمـيـةـ المعـالـجـةـ السـيـاسـيـةـ وـتصـريـحـهـ بـضرـورـةـ تـنـحـيـ الرئيسـ السـوـرـيـ، وأـيـضاـ أحـادـيـثـ لـمـسـؤـولـيـنـ أـرـدـنـيـينـ تحـذـرـ بـصـورـةـ مـباـشـرـةـ منـ توـسـعـ الـصـرـاعـ الأـهـلـيـ فيـ سـوـرـياـ، وـمـنـ خـطـرـ وـصـولـ إـلـيـ سـدـةـ السـلـطـةـ فيـ سـوـرـياـ عـلـىـ مـسـتـقـبـلـ الـأـرـدـنـ، تـظـهـرـ السـيـاسـيـةـ الرـسـمـيـةـ الـأـرـدـنـيـةـ شـدـيدـةـ التـحـفـظـ وـالـحـذـرـ منـ الـحـدـثـ السـوـرـيـ مـتـجـنبـةـ أـيـ تـصـعـيدـ أوـ اـسـتـفـزـازـ لـلـنـظـامـ، إـنـ لـتـجـنبـ ردـودـ أـفـعـالـ قدـ تـسـبـبـ إـرـبـاكـاتـ دـاخـلـيـةـ معـ وـجـودـ مـجـمـوعـاتـ قـومـيـةـ وـيـسـارـيـةـ لـاـ تـزـالـ تـجـدـ مـاـ يـحـصـلـ فـيـ سـوـرـياـ مـؤـامـرـةـ اـسـتـعـمـارـيـةـ، إـنـ لـمـصـلـحةـ اـقـتصـادـيـةـ فـيـ ضـمـانـ مـصـادـرـ الـمـيـاهـ وـتـأـمـيـنـ طـرـقـ قـوـافـلـ تـصـدـيرـ الـبـضـائـعـ، بـماـ فـيـ ذـلـكـ تـسـهـيلـ عـمـلـيـةـ التـشـارـكـ مـعـ الـمـنـظـمـاتـ الدـولـيـةـ لـرـعـاءـيـةـ أـكـبـرـ عـدـدـ مـنـ

اللاجئين السوريين، على الرغم مما يثار عن سلوكيات غير إنسانية يلقاها بعض اللاجئين في المخيمات الأردنية.

سياسة «النأي بالنفس» لم تخف متابعته لـ**لبنان**، بل إن الحدث السوري بدأ يحفر في خبایا تركيبة الاجتماعية ومكوناته عميقاً، وينذر بتنامي تفاعلات وتوترات طائفية قد تعيد البلد إلى مناخات غير محمودة، ويبدو أن قضية اللاجئين وتنامي حاجاتهم، ثم استفزازات النظام السوري وتجاوزاته المتكررة للحدود مع لبنان بحجة ملاحقة معارضين فارين، وتدخل حزب الله في بعض مناطق الاحتكاك، كل ذلك أخرج السلطات وأظهر لاجدو سياسة النأي بالنفس، لتغدو هذه السياسة كأنها تعني الموقف الرسمي فقط، بينما تحولت فعلياً إلى ما يشبه ستاراً تتحرك من وراءه القوى اللبنانية تبعاً لحساباتها كي تعبر عن مواقفها الخاصة مما يحصل في سوريا، وكى تقدم ما تيسر لها من الدعم إلى الطرف الذي تسانده وتشعر بأن مصالحها ترتبط بانتصاره.

لتتركيا سقف يبدو أنها لا تستطيع تجاوزه أو لا تريده، إن استطاعت، مكتفية، بعد سلسلة النصائح التي قدمتها للقيادة السورية، بالدعم اللفظي للثورة والإدانات المتعددة للعنف السلطوي المفرط، ربما بتقديم بعض الدعم اللوجستي لجزء من المعارضة السورية، طالما هو أقرب إلى سياساتها وحساباتها.

وعلى الرغم من أن تركيا كشفت عن طموح نهم في ظل حالة التفكك العربي لتعزيز وزنها دورها الإقليميين، فثمة مصالح تلزم دخولها بصورة سافرة في المشهد السوري ربما بخشيتها من خسائر فادحة، في حال توسيع ساحة الاشتباك وشمل حلفاء النظام، وما يستتبع ذلك من تداعيات ربما تستنزف قواها وتهدد طموحها، إن طال زمن الصراع واتخذ مسارات غير محمودة، ناهيك عن مخاوفها من تحويل البؤرة السورية المضطربة إلى قاعدة انطلاق لحزب العمال الكردستاني، خاصة إن فشلت مساعدتها في استتمالية قيادته لعقد اتفاق سياسي يضع حداً للعمليات العسكرية، وفي تأليب بعض الجماعات السورية المسلحة لضرب أنصاره أو محاصريهم.

لا تنطلق السياسة الإسرائيلية من الصراع السوري من تأثيراته الراهنة، ولا من كونها عدواً يحتل أرضًا، بل من حسابات أمنية استراتيجية، وهي تنوّس بين رغبة دفينة في بقاء النظام بصفته نظاماً مجرباً حافظ على جبهة الجولان آمنة ومستقرة طيلة عقود، والضغط على روسيا والدول الغربية لترك الأوضاع السورية، في حال لم يضمنوا السيطرة على المعارضة، كي تسير نحو التفسخ والاهتراء فتأمن جانب هذا البلد لستين طويلاً، ورهانها إشغال البديل المُقبل حتى أذنيه في معالجة الدمار والخراب، ولا تغير هذه الحقيقة تصريحات بعض القادة الإسرائيليين عن فقدان النظام شرعنته، وأنه غير قادر، بعدما جرى، على الحكم.

في مسار الثورة لم تكن بعض بلدان الجوار تثق بالشعب السوري وبقدراته على الاستمرار في مواجهة عنف مفرط هي أدرى به، وكان يلحظ لفترة طويلة وجود ما يشبه الإجماع عندهم على أن النظام سيتجاوز الأزمة ويعزز موقعه من جديد، الأمر الذي حدد سقف سياساتهم وطابع مواقفهم وفسر حذرهم وترددتهم في المشاركة في تطبيق العقوبات الدبلوماسية والاقتصادية، أما اليوم فيبدو أن ثمة قاسماً مشتركة جديداً يجمعهم، هو تنامي مخاوفهم، وإن بدرجات متباعدة، من استمرار العنف والصراع في سوريا، ومن احتمال انزلاق البلاد إلى حرب أهلية واسعة وانتقالها إلى مجتمعاتهم بفعل المساحات الحدودية الواسعة والتداخل العشائري والديني والقومي، وأيضاً مخاوفهم، إذا استثنينا الحكومة التركية، من صعوبة بناء علاقات ثقة مشتركة إن كان البديل حكومة إسلامية، مما يفسر حماسهم الراهن وزيادة ضغطهم من أجل تفاقم الدول الكبرى وبناء دور أممي جاد وحاصل يضع حداً للمأساة السورية!

الشرق الأوسط

المصادر: